من مفكرة القرن الرابع عشر الهجري

سنعرض من خلال هذه الزاوية التي اسميناها : من مفكرة القرن الرابع عشر الهجري ، لأهم الأحداث التاريخية التي مرت بأمتنا خلال القرن الماضي ، والتي تركت اثارها على حياتها ، وبصماتها على نفوسنا .

ونحب أن يكون واضحا من البداية أننا هنا لسنا بسبيل إعادة شريط الأحداث والاكتفاء بالتسجيل لها فقط ، لأن هذا متوفر وموجود في مظانه من كتب التاريخ وغيرها ، وإنما نحاول قراءة هذه الأحداث قراءة إسلامية ما أمكن لنا ذلك والأخذ بيد القارىء إلى ما كان من السلبيات والتعرف عليها للمساهمة ـ بقدر المستطاع ـ في معالجتها وإيقافها ، والأمور الايجابية لالتزامها ومتابعتها ، ذلك أن حياة الأمة إنما هي عبارة عن حلقات يمسك بعضها ببعض ، وكل حلقة مرتبطة بأخرى ، ومؤثرة فيها بصورة أو بأخرى .

وبهذه المناسبة نرجو من أصحاب القلوب الواعية ، والبصائر النافذة ، والعقول الناضجة ، والايجدية الإسلامية أن يقراوا معنا ، وأن يساهموا بالكتابة إلينا ، علنا نساهم مع غيرنا بوضع معالم لطريق الجيل المسلم مستقبلا .

«إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد» .

● بدأ القرن الرابع عشر الهجري بالاحتلال الانجليزي لمصر ، تحت ستار حماية المصالح الأجنبية والاقليات ، بعد أن تمكنوا من الانتصار على المدافعين عن البلاد في معركة التل الكبير في شهر أيلول ـ سبتمبر ـ ١٨٨٢م (أواخر ١٣٠٠هـ . وبداية عام ١٣٠١ هـ)

وكان الذي مهد لهذا الاحتلال :

(١) سياسة التفريخ التي انتهجتها القابلية للاستعمار ، والتي اتبعها بشكل خاص الخديوي سعيد ثم اسماعيل ، وما نتج عنها من عدق كبير للأجانب ، من الانكليز والفرنسيين وبعض الايطاليين واليونان إلى مصر ، وما تبع ذلك من امتيازات لهؤلاء (أصبح لهم سبع عشرة محكمة قنصلية ، تتبع سبع عشرة دولة ، وتطبق سبعة عشر قانونا) أدنلت أفدح الظلم بأصحاب البلاد من المسلمين .

ثم أدى هذا الى إنشاء المحاكم المختلطة ، وتعطيل العمل بقوانين البلاد (الشريعة الإسلامية) والأخذ بالقوانين الوضعية الأجنبية ، وخاصة القانون المدني الفرنسي

(٢) سياسة التبذير والسفه والاسراف التي اتبعها هؤلاء وأوقعت البلاد في عجز دائم ، نتيجة قروض عقدت مع الانكليز وا الفرنسيين .

(٣) الغزو الفكري الذي تعرض له المسلمون في مصر منذ فترة مبكرة ، وذلك لما لها من مكانة يومها ، وخاصة لوجود الأزهر الشريف فيها ، ومجيء الكثير من نصارى المشرق العربي ، وبتشجيع من فرنسا وانجلترا ، إليها مهاجرين من بلاد الشام ، وخاصة لبنان ، بحجة تعرضهم للاضطهاد من الدولة العثمانية ، وعدم السماح لهم بحرية التعبير والفكر ، حيث قاموا بتاسيس دور النشر والطباعة مثل : دار الاهرام ، ودار الهلال وغيرها ، واصدروا العديد من المجلات والصحف التي اخذت على عاتقها مهاجمة الدولة العثمانية ، وكانت الغاية من هذا الهجوم طعن الاسلام.

كان هذا الاحتلال قبل سقوط الخلافة بحوالي خمس وثلاثين سنة ـ تم خلالها تكوين جيل في هذا المناخ ـ على يد يهود الدونمة والتمكين لهم لاقامة دولة اسرائيل في قلب العالم الاسلامي ... فهل عاد التركيز على القطر الشقيق من جديد ؟!

● **وفي عام ١٣٠١ هـ ـ ١٨٨٣ م تمكن المهدي في السودان من ايقاع الهزيمة بالقوات الموالية للانجليز والتي يقودها الضابط الانجليزي «هيكس» في موقعة شيكان شرقي الأبيض . وتمكن بانتصاره من إبادة الحملة إبادة تكاد تكون تامة إذ لم ينج من الآلاف العشرة سوى ثمانمائة لم يكن هيكس وجميع ضباطه منهم .**

والمهدي هو : محمد أحمد بن عبد الله الحاج شريف ، اشتهر بالزهد والتقوى والتواضع حتى قال فيه شيخه : (ما رأيته يصلي إلا يتبلل وجهه بالدموع) دعا المسلمين للعودة الى روح الاسلام والتزام عدالته ، لذا قام بمحاربة الظلم وأهله ممثلا في البداية بنظام الحكمدارية الذي أقيم في عهد الخديوية ، ثم بالانجليز ومن والاهم بعد استعمارهم لمصر .

أقبلت وفود المسلمين بالسودان عليه تبايعه (فقد بايعنا الله ورسوله ، وبايعناك على توحيد الله وألا نشرك به أحدا ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نأتي بهتانا ، ولا نعصيك في معروف ، بايعناك على زهد الدنيا وتركها ، والرضا بما عند الله والآخرة ، وعلى ألا نفر من الجهاد أبدا) .

حاولت انجلترا شراءه ، فأرسلت اليه كتابا تجعله فيه ملكا على منطقة كردفان ، مع هدية نفيسة . فرد المهدي الهدية وأجاب : **إنني لم أقم بالثورة طلبا لمغنم دنيوي من مال أو جاه أو سلطة** ، وبين أنه قام لله ، وطلب من ممثل انجلترا وقتها «غوردون» الدخول في الاسلام تعرض لحملة تشويه ظالمة من صرعى الغزو الفكري المضبوعين بالحضارة الغربية ومن الكتاب الانجليز أنفسهم ، حيث وصفوه بأنه قاطع طريق ، ومصاص دماء وغير ذلك ... ولايزال التاريخ يعيد نفسه. وهذه حال كل من حاول التمرد على أوامر المستعمرين .

توفي رحمه الله عام ١٣٠٢ هـ . بعد أن قتل غوردون واحتل أم درمان واتخذها عاصمة له . وبعد أن أصبح السودان بأكمله تحت سيطرته .